

العزيزُ بالجهل

عقيدة السلف

مع

توضيح وبيان لموقف شيخي الإسلام
ابن تيمية وابن عبد الوهاب من
العدر بالجهل وتكفير المعين

بعتلم .

سُرَيْفٌ مُحَمَّدٌ فَرَّادٌ وَهَدَّاهُ

عفا الله عنه وغفر له

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت : ٨٦٤٢٤٠

وقال في النهاية : وأصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق
السب والدعاء . (١) .

يقول ابن الوزير رحمه الله :

واعلم أن أصل الكفر هو التكذيب المتعمد لشيء من كتب الله تعالى
المعلومة أو لأحد من رساله عليهم السلام أو لشيء مما جاؤا به إذا كان ذلك
الأمر المكذب به معلوماً بالضرورة من الدين . ولا خلاف أن هذا القدر
كفر ومن صدر عنه فهو كافر إذا كان مكلفاً مختاراً غير مختل العقل ولا
مكروه .

وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع
وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء
الحسنى بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة
والجنة والنار .

وإنما يقع الإشكال في تكفير من قام بأركان الإسلام الخمسة المنصوص

على إسلام من قام بها إذا خالف المعلوم بالضرورة لبعض أو للأكثر لا
المعلوم من الدين المعلوم له وتأول وعلمنا من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب
أو التمس علينا في حقه وأظهر التدين والتصديق بجميع الأنبياء والكتب
الربانية مع الخطأ الفاحش في الاعتقاد ومضادة الأدلة الجلية عقلاً وسمعاً
ولكن لم يبلغ مرتبة الزنادقة المقدمة وهؤلاء كالمجبرة الخالص المعروفين
بالجهمية عند المحققين وكذلك المجسمة المشبهة في الذات التشبيه المجمع
على أنه تشبيه احترازاً عما لا نقص فيه مجمع على أنه نقص مع إثبات

فإن لا إشكال
في تكفير من خالف
المعلوم من الدين
المعلوم له وتأول
أو التمس علينا في
حقه وأظهر التدين
والتصديق بجميع
الأنبياء والكتب
الربانية مع الخطأ
الفاحش في الاعتقاد
ومضادة الأدلة
الجليه عقلاً وسمعاً
ولكن لم يبلغ مرتبة
الزنادقة المقدمة
وهؤلاء كالمجبرة
الخالص المعروفين
بالجهمية عند
المحققين وكذلك
المجسمة المشبهة
في الذات التشبيه
المجمع على أنه
تشبيه احترازاً
عما لا نقص فيه
مجمع على أنه
نقص مع إثبات

من الدين مروق
السهم من الشهية مع
النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢٥٥) .
وانفق أهل السنة من السلف على تكفير من قال القدر من مخلوق وكفر والجهمية الذين
ينكرون صفات الله وقال ابن وهيب في خطبة العبد وكان أميراً فقال أيتها الناس قوموا
فضحوا لقبيل الله ضحوا باسمي فاني مصلح بالجمع بين دينهم فانه زعم أن الله لم يكلم مؤسس

تتاليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ثم نزل فذبحه ولم يتكسر عليه ذلك أحد من أهل العلم
بل سر وأبغضه وصرحوا وتثبوا عليه وكذلك يقال في الخلوية وأصحاب وحدة الوجود
من الصوفية وغيرهم وإن راحوا منهم من الملمين وأظهروا الدين لا يجوز أن يتردد مسلم
الربوبية وخواصها وجميع صفات الكمال وإلا كان كفراً صريحاً. أه في كفرهم أنهم
بلفظه (١) يدعون أن الله مني بخلفه أو ببعض أحوال فخلقته أو في بعض خلقه
ومن اعتقد ذلك كفر بأجماع المسلمين وكذلك من دعا غير الله أو ذبح

والعلامة صديق حسن خان كلام نفيس في أن المتأول لا يكون أبداً كالمترد لغير الله أو نذر
فيقول رحمه الله: لغير الله واعتقد فيه القدرة على الضر والنفع والإعطاء وهو كافر
بأجماع المسلمين لكن لا يسباح دمه إلا بعد الدعوة والبيان وذلك

وأما قول بعض أهل العلم أن المتأول كالمترد فهنا تسكب العبرات أن من فعل ذلك
ويناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين فقد ناقض بعض
من الترامى بالكفر لا بسنة ولا قرآن ولا لبيان من الله ولا برهان بل لما غلت
مراجل العصية في الدين وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين
لقنهم الزمان بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء والسراب في البقعة
فيا لله وللمسلمين من هذه الفارقة (٢) التي هي أعظم فواقر الدين والرزية التي
ما رزى بمثلها سبيل المؤمنين وأنت إن بقي فيك نصيب من عقل وبقية من
مراقبة الله عز وجل وحصاة من الغيرة الإسلامية علمت وعلم كل من له علم
بهذا الدين أن النبي لما سئل عن الإسلام قال في بيان حقيقته وإيضاح مفهومه
أنه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وشهادة لا إله إلا
الله وأن محمداً رسول الله والأحاديث بهذا المعنى متواترة فمن جاء بهذه
الأركان الخمسة وقام بها حق القيام فهو المسلم على رغم أنف من أبي ذلك
كائناً من كان فمن جاءك بما يخالف هذا من ساقط القول وزائف العلم
بالجهل فاضرب به في وجهه وقل له قد تقدم هذيانك هذا برهان محمد
ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

(١) كتاب إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد (ص ٤١٥).
(٢) الفارقة: الداهية التي تكسر الظهر. (٢١٠-٢١١) (٢١٠-٢١١)

وكما أنه تقدم الحكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قام بهذه الأركان الخمسة بالإسلام فقد حكم لمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره بالإيمان وهذا منقول عنه نقلاً متواتراً فمن كان هكذا فهو المؤمن حقاً وقد ورد من الأدلة المشتملة على الترهيب العظيم من تكفير المسلمين والأدلة الدالة على وجوب صيانة عرض المسلم واحترامه ما يدل بفحوى الخطاب على تجنب القدح في دينه بأي قادح فكيف بإخراجه عن الملة الإسلامية إلى الملة الكفرية فإن هذه جناية لا تعدلها جناية وجرأة لا تماثلها جرأة ، وأين هذا المجترى على تكفير أخيه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه في الصحيح أيضاً (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه في الصحيح أيضاً (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام) وهو أيضاً في الصحيح وكم يعد العاد من الأحاديث الصحيحة والآيات القرآنية والهداية بيد الله عز وجل :

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) . ١٥

بلفظه (١) . قلت يظهر من كلام القوجي رحمه الله أنه يقصد به الذي لا يقسم على الكفر بدون دليل ولكن المخالف في الرأي أو في جزئيات العقيدة وهذا لا يفعله إلا جاهل بالشرع

(١) الروضة الندية (٢/٢٩٠ - ٢٩١) .

أولا - الأدلة القرآنية

١ - قول الله تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (١).

ولت الذي يظهر
من استدلال من استدلال

بيان للعناية الربانية ، إثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال بأصحابها ،
أهل الفقه لا يعزبون وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته ، وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها .

الابغض منهم

وما صح وما استقام منا ، بل استحال في سنتنا المبينة على الحكم
و حمل على نفي البالغة ، أن نعذب قوماً حتى نبعث إليهم رسولا يهديهم إلى الحق ، ويردعهم
العذاب الأخرى عن الضلال لإقامة الحججة قطعاً للعذر . والعذاب أعم من الدنيوي والأخروي ،

لأن الذي ظهر
من السابق والآيات التي

لقوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا
لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخزى)

[طه : ١٣٤] وقال تعالى (كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ
يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن

شئٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) [الملك : ٨ - ٩] ، وكذا قوله :

(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ

سُوَيْنَذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ

عَلَى الْكَافِرِينَ) [الزمر : ٧١] وقال تعالى (وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم

بارسال الرسول (١) سورة الإسراء (١٥) .

قال طائفة من أهل العلم وذهب الجمهور إلى أن المنع منها هو عذاب الدنيا لا العذاب

الأخرى ، ولقد يؤيد ما ذهب إليه الجمهور أن الاستدلال بعذاب الدنيا فالنهي
بعدها مباشر ، وإذا أردنا أن نهلك أمرنا من غيرنا ففعلنا فيها حتى عليها القول

فردنا هاتين مير او كرا هلكنا من القرين من بعد و حو كوفي بدلي و نصيرا
 وبين هذه التي اسند بها المؤلف ارتباط وثيق فمنعنا الاثر و اذا اردنا ان
 نهلل قريه ثم نأمر حبيها - ١٣ - على يد الرسل المبعوثين بالطاعة و الحصول
 ما يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير ، فذوقوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ
 (من نصير) . (مدروا انهم عصوا الرسل المبعوثين اليهم فمؤقروا)

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى لا يعذب قوماً عذاب
 استئصال ولا يدخل أحد النار إلا بعد إرسال الرسل .

قال قتادة : إن الله تعالى لا يعذب أحداً حتى يتقدم إليه بغير أو بينة
 ولا يعذب أحداً إلا بذنبه . ا . هـ (١) .

يقول الإمام الشوكاني :

(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لما ذكر سبحانه اختصاص
 المهتدي بهدايته والضال بضالاه . وعدم مؤاخذه الإنسان بجناية غيره ، ذكر
 أنه لا يعذب عباده إلا بعد الإعدار إليهم بإرسال رسوله ، وإنزال كتبه .

فيبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم .

والظاهر أنه لا يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد الإعدار إليهم
 بإرسال الرسل . ا . هـ (٢) . *السر في النقل والاختصار على ما يكون حجة*

للساقل دون المخالف عجيب وقلة أمارته عند أهل
 ويقول الإمام ابن كثير : العلم والمؤلف قد تبركوا من الشوكاني فثبت ما في حجة

إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه *له وهجر ذمنا*
 بإرسال الرسل إليه . *فيه حجة عليه*

وعامة وبه قال الطائفة
 كقوله تعالى (كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ

وذهب الجمهور إلى أن المنقوش هنا هو عذاب الدنيا

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١٠ / ٣٩١٣) . *سنة العذاب*

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣ / ٢١٤) . *بسم الله الرحمن الرحيم*

من السماء: أُنَّا إِنَّمَا قَلْنَا ذَلِكَ وَسَأَلْنَاكَ أَنْ تَسْأَلَ لَنَا رَبِّكَ لِنَأْكُلَ مِنَ الْمَائِدَةِ
فَنَعْلَمَ يَقِينًا قُدْرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ (وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا) يقول وتستكن قلوبنا
وتستقر على وحدانيته وقدرته على ما شاء وأراد (وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا)

ونعلم أنك لم تكذبنا في خبرك أنك لله رسول مرسل ونبي مبعوث
(وَنَكُونُ عَلَيْهَا) يقول ونكون على المائدة (مِنَ الشَّاهِدِينَ) يقول
من يشهد أن الله أنزلها حجة لنفسه علينا في توحيده وقدرته على
ما شاء وعلى صدقك في نبوتك . ا.هـ (١)

قلت : تبين لك بعد هذا النقل عن شيخ المفسرين أن الحواريين -
قبل استحكام الإيمان في قلوبهم - أو من كان معهم من الجهال (٢) - شكوا
أو مغالطوا بأنهم لم يكفروهم عيسى عليه السلام وكلاهما كفر بالله .
فصرح بأن عيسى لم يكفروهم عيسى عليه السلام بتلك المقالة وإن كان استعظمها وأمرهم بمراجعة
فقال في المقطع الذي إيمانهم وكذا لم يخبر الله تعالى أنهم كفروا كما ذكر ذلك في الذين استهزؤوا
بعبدتكم في المائدة في غزوة تبوك .
من الصفة السابقة فقال
وحي شكهم في قدرته
على أنزال المائدة
السماء وكفروا فأنصوا
الله أن ينزل لكم
أن كنتم مؤمنين
سبحانه وتعالى يعذر العبد بجهله في الأصول والفروع في الاعتقادات والعبادات

وهذا يدل على أن قول الحواريين الذي قالوه وهو شكهم في قدرة
الله تعالى لم يكن كفراً منهم إذ قالوه وهم جاهلون بذلك مما يدل على أن الله
سبحانه وتعالى يعذر العبد بجهله في الأصول والفروع في الاعتقادات والعبادات

الحواريين لم يشكوا
فأصل قدرته الله وإنما
كان شكاً في بعض جزئياتها
فأمرهم بالتوبة
لا يبعد أن يكون من الحواريين إذ جهلت عائشة صفة العلم لله سبحانه وهي من هي بالنسبة
ووجهة أخرى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
المؤلف قد ساق في هذه الشرح حيث ذكر أن عيسى لم يكفروهم وعرف بأنه مرسلهم
بعد إيمانهم ومراجعة الإيمان لأنكون إلا فيما يوجب كفر الله أعلم

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري (٧/ ٨٣ - ٨٥) .

(٢) ويرى بعض المعاصرين أن القول بأن ذلك كان ممن كان مع الحواريين يخالف نص القرآن
إذ قال الله تعالى (إذا قال الحواريون) وهو نص صريح وإنما ذكر ذلك تبعاً للإمام القرطبي وإن كان
لا يبعد أن يكون من الحواريين إذ جهلت عائشة صفة العلم لله سبحانه وهي من هي بالنسبة

لقد حبت في هذا الحكم وقلت على الله ما لم يقله ونسبت الى السلف ما لم يعتقدوه
ففي أي كتاب وفي أي سنة أن من قال الكفر واعتقد الكفر في دولة الاسلام وبلاد
الاسلام وفي زمن العلم ^{٢٣} لا يكفر ومن قال بهذا من السلف الذين تكلموا بلسانهم
في زمن العلم وغيره وفي دولة الإسلام وغيرها وذلك - وكما سنبين إن شاء الله في شرحنا وعرضنا

تعالى - أن الحواريين كانوا في زمان عيسى عليه السلام وهو زمن العلم وما هذا من ذلك إلا
وعندهم من يسألونه ومع هذا لم يكفروا بقولهم وإنما ذكرهم وبين لهم أن أقر الله الله في
قولهم هذا مجانب للإيمان وهذا الذي قررناه وقررره قبلنا شيخ المفسرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أكده وبينه كثير من علمائنا من المفسرين وغيرهم ولك نذكرهم : **لقد كفر الله المنا فقين**
الذين تكلموا بالكفر في
دولة الاسلام وهم
يقول الإمام الشوكاني رحمه الله :

واستشكلت القراءة الثانية (هل يَسْتَطِيعُ) بأنه قد وصف سبحانه
الحواريين بأنهم قالوا (آمَنَّا واشْهَدُ بِآئِنَّا مُسْلِمُونَ) والسؤال عن يسمع اليل حتى
استطاعته لذلك ينافي ما حكوه عن أنفسهم .

وأجيب : بأن هذا كان في أول معرفتهم قبل أن تستحكم معرفتهم بالله . ما إذا قال أنفاً ذلك
الذي يطيع الله على قلوبهم

ولهذا قال عيسى في الجواب عن هذا الإستفهام الصادر منهم (١) **وَالْبَعْضُ أَهْوَىٰ لِمَن**
وَإِذْ كُنْتُمْ نَرِيهٖمُ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْكُمْ لِيُكْفِرُوا وَلَوْ كَانُوا
فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَفِي زَمَنِ الْعِلْمِ فَحَقًّا قَضَيْتُ

لِقَوْلِهِمْ (٢) أَي لَا تَشْكُوا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ . ١ . ٥ . (٢)
عبد الله بن عمر الصحابي الجليل يترجم من التفسير
للقدر لما بلغته مقالتهم وقال لما بلغه ذلك
ويقول الإمام الآلوسي رحمه الله :
(هل يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ) : **أَلَيْسَ فَاحْتِزُّهُمْ إِلَىٰ بَدَأِ**

لم يكن عن تحقيق منهم ولا عن معرفة بالله تعالى وقدرته سبحانه لأنهم هم أنسأ بحديث
لو حققوا وعرفوا لم يقولوا ذلك إذ لا يليق مثله بالمؤمن بالله عز وجل . (٣) .
حدثنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسنده

ولم يعذرهم بالجمل
(١) يعني قولهم (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟) . وقيل حال الريف الوفي ما الذي بين
(٢) فتح القدير للشوكاني (٩٢ / ٢) . **تَوْبِيحُهُ لِمَا قَالُوا كَيْدًا لِيُخْرِجُوا مِنْكُمْ لِيُكْفِرُوا وَلَوْ كَانُوا**
(٣) روح المعاني (٥٨ / ٧) . **فَقَالَ لَهُ هُوَ صَاحِبُنَا وَلَيْسَ بِصَاحِبِكَ فَصَدَّقَ وَلَمْ يَعْذِرْهُ**
بِالْجَمَلِ وَالرَّفَقَ السَّلْبَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ جَمْعًا عَلَىٰ عَائِلَتِهِمْ كَمَا قَالَ الْقُرْآنُ
فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا حَيْدَرُ رَبِّكَ الْمُبْتَدِئُ الَّذِي كَلَّمَ نُوْحًا مِمَّنْ نَبَّأَهُ بِالْحَقِّ وَالَّذِي مَنَعَهُ مِنَ التَّكْوِينِ

السلف وأهل الفهم وليست في أهل الإسلام أمما من بلغنهن الصلاة فحسوا قالوا الكفر
أو اعتقدوا وحكمهم بكفرهم يدل على ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من أمرهم
هذا أقوام محقرون ضللتهم عن صلاتهم فصدقتهم عن صلاتهم من
الدين مروق ثم ذكر رحمه الله إختلاف العلماء في تأويلها وذكر القراءة الأخرى ومن

الجم من الصبية قرأها .
وكما في بك الإلآن نريد أن نعد من يعبدون الأضرحة بها يطوفون ولها ينزرون

وعلى اسمها يذبحون ويقول الإمام الفخر الرازي بعد أن حكى أوجه القراءة في الآية
وخاصة على اسمها يعتقدون

القدر على التكفير (هل يستطيع) ، (هل يستطيع) : قالوا وهذه القراءة (هل تستطيع)
في الكون والحياة أولى من الثانية (هل يستطيع) لأن هذه القراءة توجب شكهم في

والأهبا دوكا في استطاعة عيسى ، والثانية توجب شكهم في استطاعة الله ، ولا شك
بأن نريد أن نعد

من حكم القايون أن الأولى أولى .
ويروى الكفر عن عرض الكاثر

وكما في بك نريد أن نعد الذين يقولون
أن الله عز وجل

وقالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) وبعد الإيمان كيف يجوز أن يقال
أنهم بقوا شاكين في اقتدار الله تعالى على ذلك ، والجواب عنه

حل في خلقه أو الخدم من وجود :
بهم من الكلوبية والاحتاديه وتقول

الهم جاهلون فماذا أنقصت
للدين والدين تنقذ

إدعاءهم لهما ثم أتبع ذلك بقوله حكاية عنهم (هل يستطيع ربك)
فمنها على الإسلام أن ينزل علينا مائدة من السماء .

علم المسلمين

فدل ذلك على أنهم كانوا شاكين متوقفين فإن هذا القول لا يصدر
عن كان كاملا في الإيمان . وقالوا : (ونعلم أن قد صدقتنا) وهذا يدل على
مرض في القلب .

وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم (أتقوا الله إن كنتم

مؤمنين) يدل على أنهم ما كانوا كاملين في الإيمان (١) .

والوجه الثاني :

في الجواب أنهم كانوا مؤمنين إلا أنهم طلبوا هذه الآية ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي) (٢) فإن مشاهدة مثل هذه الآية لا شك أنها تورث الطمأنينة ولهذا السبب قالوا (وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا) .

الوجه الثالث :

في الجواب أن المراد من هذا الكلام استفهام أن ذلك هل هو جائز في الحكمة أم لا (٣) ؟ لأن أفعال الله تعالى لما كانت موقوفة على رعاية وجوه الحكمة ففي الموضوع الذي لا يحصل فيه شيء من وجوه الحكمة يكون الفعل ممتنعاً فإن المنافي من جهة الحكمة كالمنافي من جهة القدرة . وهذا الجواب يتمشى على قول المعتزلة ، وأما على قولنا فهو محمول على أن الله تعالى

قد قضى بذلك وهل علم وقوعه فإنه إن لم يقض به ولم يعلم وقوعه كان كل مقصود فعله ذلك محالاً غير مقدور لأن خلاف المعلوم غير مقدور .

الوجه الرابع :

قال السدي : هل يستطيع ربك أي هل يطيعك ربك إن سألته وهذا تفرغ على أن استطاع بمعنى أطاع والسين زائدة .

(١) والواضح أن الفخر الرازي رحمه الله يرى أن هذا الوجه أليق وأصرح لمطابقتها لسياق الآيات وموافقته للأدلة الأخرى ولذا قدمه على الأوجه الأخرى والتي هي أقصر بكثير من هذا الجواب لمن تأمل .

(٢) قلت : ليس في قولهم هذا أي مشابهة لقول الخليل عليه السلام لأنه سأل الله تعالى بقوله =

(٣) وهذا الجواب كالذي قبله لا يتمشى مع سياق الآيات الكريمة .

الوجه الخامس :

هذا قول ضعيف
جبريل عبد ليس لعل المراد بالرب : هو جبريل عليه السلام ، لأنه كان يريه ،
ولوا منقصة يخصه بأنواع الإعانة ،

الحواريون من جبريل ربا
لعيسى الكفو (الآن) ولذلك قال تعالى في أول الآية (إِذْ أَيْدُتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ) .
الرب هو المقصود في كل من الملائكة والحل مشرق

جبريل يستطيع
على أنزال الملائكة
دون أمر ربهم وصامتا
بالقول وهم بأمره يعملون
إنزال مائدة من السماء عليك .
والوجه السادس :

أنه لبس المقصود من هذا السؤال كونهم شاكين فيه بل المقصود تقرير
أن ذلك في غاية الظهور كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول : هل يقدر السلطان
على إشباع هذا ، ويكون غرضه منه أن ذلك أمر جلي واضح لا يجوز لعاقل
أن يشك فيه ، فكذا ههنا . ا . هـ (١) .

قلت ، فعمل هذه هي أوجه التأويل في هذه الآيات الكريمة والراجح
ما دلت عليه الآيات ألا وهو أن ذلك كان من الحواريين قبل معرفتهم
الكاملة بربهم أو ممن كان معهم من الجهال وهذا الذي قلنا عليه جمهور
المفسرين ، بل تجد أحدهم كالإمام القرطبي يتحير في تأويل تلك الآيات
ثم يعود لترجيح ذلك للدلالة الآيات عليها فيقول رحمه الله :

= (رب أنى كيف تحي الموقى) فهو موقن أن الله تعالى يحيى الموقى ولكن أراد المعاينة ليزداد
يقينه أما هم فسألوا شاكين (هل يستطيع ربك) وشتان بين قولهم وقول خليل الله عليه السلام .
فتأمل .

(١) مفاتيح الغيب (١٢ / ١٣٧) وما بعدها .

إلا أنه يجوز أن يقال : إن ذلك صدر ممن كان معهم ، كما قال بعض جهال الأعراب للنبي صلى الله عليه وسلم : إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط وكما قال من قال من قوم موسى (إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) .
ثم ذكر القول بأن ذلك منهم كما كان سؤال إبراهيم عليه السلام للمعaineة وقال بعد ذلك :

قلت : (القائل القرطبي) وهذا تأويل حسن ، وأحسن منه أن ذلك كان من قول من كان مع الحواريين . ١ . هـ (١) .

وأما الإمام ابن حزم رحمه الله فقد جعل هذه الآية أبين وأوضح شيء في أن الجاهل معذور في الاعتقاديات والعمليات في الأصول والفروع فهو بعد أن ذكر كلاماً في العذر بالجهل وحديث من أوصى أهله بحرقه قال :

قلت كما لا يخفى من شططت شديداً على اللسان كما أحسنه للحناء وغير ذلك فهو ليس بحجة

(قال أبو محمد) : وأبين شيء في هذا قول الله تعالى (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ) إلى قوله (وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا)
فهؤلاء الحواريون الذين أثنى الله عز وجل عليهم قد قالوا بالجهل لعيسى عليه السلام :

(هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ)

ولم يبطل بذلك إيمانهم وهذا لا مخلص منه وإنما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبيينها لهم . ١ . هـ (٢)

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٣٦٤) وما بعدها .
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣ / ٢٥٣) .

هذا الاطلاق باطل والعذر بالجهل انما يقبل في الفروع اذا احسن مدعاها
يقول ابن كثير في ذلك على صدق مدعي العذر بالجهل كالمراة التي اذ بها من اوسط
افريقيا الى المدينتي في راس عثمان فزنت ولما ارادوا ان يصوموا عليها تبين
انها لم تعلم من الرزق وتبين كذلك تلك الآيات الكريمات ان الجهل عذر في الأصول والفروع
حرام لعجزها في دار الإسلام ودار الحرب في مظنة العلم وغيرها ويأتي في كل فصل تأكيد

وقوله في هذا المعنى لذلك إن شاء الله تعالى المسلمين ما العقبه فلا يعذر فيها بالجهل على الأصح وأحد ابن أمخان أهل
الفترة ضعهما ابن ٣ - قول الله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ
عَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَدَّبُّنَا بِالْأَبْصَارِ) [التوبة : ١١٥] .
وخالقها ما هو في حجتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شئ عليم .

لا أدري ما وجه
البراه من هذا
الآية على الإعتار
بالجهل فمن بلغته
الرسالة فقد وصله
البيان وكما أحاد
في الحديث والنبي
لفس بيده لا الحججة .
يقول ابن كثير رحمه الله :
فهذا بلاغ من الله وحكم حكم به العدل أنه لا يضل أحداً حتى تقوم
عليه الحججة .

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل .
أنه لا يضل قوماً بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم
الحججة .

كما قال تعالى (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) الآية .
وقال مجاهد في قوله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ
هَدَاهُمْ) الآية .
يقول ابن جرير :
السيارة في وجه
حتى يسمع كلام
مجعل سماع كلام الله
غاية للإيمان
وجعل النبي صلى الله
عليه وسلم السامع
به معجب لرحول النار ان لم يؤمنوا
الآية ان معناه ان الله لا يرسل المؤمنين بعد صلواتهم للإسلام
حتى يبين لهم الحلال والحرام وقد جعل تابع المشركين حتى لا يضلوا

قال : بيان الله عز وجل للمؤمنين في ترك الإستغفار للمشركين خاصة
وفي بيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فافعلوا أو ذروا .
وقال ابن جرير : يقول الله تعالى : « وما كان الله ليقضى عليكم
استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم
للإيمان به وبرسوله حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه فتركوا » فأما قبل أن يبين
لكم كراهة ذلك بالنهي عنه فلم تضيعوا نهيه إلى ما نهاكم عنه فإنه لا يحكم
به معجب لرحول النار ان لم يؤمنوا

وقال ابن جرير : يقول الله تعالى : « وما كان الله ليقضى عليكم
استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم
للإيمان به وبرسوله حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه فتركوا » فأما قبل أن يبين
لكم كراهة ذلك بالنهي عنه فلم تضيعوا نهيه إلى ما نهاكم عنه فإنه لا يحكم
به معجب لرحول النار ان لم يؤمنوا

أقول اليوم أكملت دينكم وأتممت عليكم نعمتي ووفيت صلوام الله وسلامه
مذكتكم على بصيرة لئلا يكون لكم حرج في الدين ولا يأتكم الدين كخوارق العادات وأن الدين
نؤمن أن الحجة لا
عليكم بالضلال فإن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهى بلزم الأبيان

وأما من لم يؤمر ولم ينهاه فغير كائن مطيعاً أو عاصياً فيما لم يؤمر به ولم الذي تقام به
ينه عنه ١. ٥. (١). الحجة الجواهر هو السماع المصطلح من سماع وطههم قامت عليه الحجة فإن
قابل السماع بالسماع والتكذيب أو الإعراض قامت عليه الحجة
ولا يحسن أحد أن ذلك في العمليات أو الشرعيات ، أما الاعتقادات

فلا عذر هنالك لأننا سبق لنا أن نقلنا نقولاً تدل الدلالة القاطعة أن العذر من الأدلة
بالجهل أصل شرعي معتبر وأن الله سبحانه تمدح نفسه أنه لا يعذب أحداً القاطع وأن
حتى تقام عليه الحجة ويعاندها ، أما من فعل أو اعتقد شيئاً يخالف ما جاءت
به الرسل جهلاً فهو معذور بجهله مرفوع عنه التكليف وإنما يخشى عليه محتمل ما أدرك
الإثم إن كان مفرطاً في التعلم وسيظهر لك أخي القارئ المسلم ذلك جلياً من الاحتمال المخرج
أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى .
ويجعله دليلاً قطعياً وأمين

يقول الشوكاني رحمه الله : لما نزلت الآية المتقدمة في النهي عن الاستغفار الأصولية المعروفة
للمشركين ، خاف جماعة ممن كان يستغفر لهم العقوبة من الله بسبب ذلك
الإستغفار ، فأنزل الله سبحانه (وما كان الله ليضل قوماً) إلخ : أي أن الله
سبحانه لا يوقع الضلال على قوم ، ولا يسميهم ضلالاً بعد أن هداهم
للإسلام ، والقيام بشرائعه ما لم يقدموا على شيء من المحرمات بعد أن يتبين
لهم أنه محرم ، وأما قبل أن يتبين لهم ذلك فلا إثم عليهم ولا يؤخذون به .

ومعنى (حتى يبين لهم ما يتقون) حتى يتبين لهم ما يجب عليهم
إتقاؤه من محرمات الشرع ١. ٥. (٢)

ويقول الإمام النسفي رحمه الله : أي ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٩٥) .
(٢) فتح القدير (٢/٤١٢) .

للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محذور لا يؤخذ به عبادة الذين هداهم للإسلام ولا يخذلهم إلا إذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنه واجب الإجتنب وأما قبل العلم والبيان فلا . . .

وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي ا . هـ (١) .

ويقول الإمام الآلوسي : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا)

أى ما يستقيم من لطف الله تعالى وأفضاله أن يصف قوماً بالضلال عن طريق الحق ويذمهم ويجرى عليهم أحكامه (بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ) (حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم) بالوحي صريحاً أو دلالة (مَا يَتَّقُونَ)

أى ما يجب إتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه ، وكأنه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل البيان حيث أفاد أنه ليس من لطفه تعالى أن يذم المؤمنين ويؤاخذهم في الاستغفار قبل أن يبين أنه غير جائز لمن تحقق شركه لكنه سبحانه يذم ويؤاخذ من استغفر لهم بعد ذلك (٢) .

والآية على ما روى الحسن نزلت حين مات بعض المسلمين قبل أن تنزل الفرائض ، فقال إخوانهم : يا رسول الله إخواننا الذين ماتوا قبل نزول الفرائض ما منزلتهم وكيف حالهم ؟ .

وعن مقاتل والكلبي أن قوماً قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قبل تحريم الخمر وصرف القبلة إلى الكعبة ثم رجعوا إلى قومهم فحرمت الخمر

(١) تفسير النسفي (٢/ ١٤٨) .

(٢) أى بعد البيان بهذه الآيات وإقامة الحجة عليهم بها . (٢/ ١٧١) .

و صرفت القبلة ولم يعلموا ذلك حتى قدموا زمان المدينة فعلموا ذلك فقالوا:
يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن في ضلال . فأنزل الله
تعالى الآية

إلى أن قال :

واستدل بها على أن الغافل وهو من لم يسمع النصر والدليل السمعي
غير مكلف (١).

قلت هذا في عصر الرسالة
وما كانوا في عصر

ومحمد الأحكام وبين من كانوا بعد ذلك
فأما من كانوا في عصر الرسالة فما صدر منهم

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق بعد ذكره للآية: في وقت الأباحة وقيل التخصيص
فهو معطوف على لعدم بلوغ الحكم

فقرر سبحانه وتعالى في ختام هذا الحكم هذه القاعدة الشرعية العظيمة التي هم كمن كانوا
وهي أن المؤاخذة دائماً بعد العلم وهذا من فضل الله ورحمته فله الحمد . هـ (٢) الحمد فسمعوا منادي

فإن قال قائل : أن هذه الآية إنما تتكلم عن تحريم الاستغفار للمشركين
وأن هذا في مسألة الجاهل بفرع من الفروع وأن الخلاف بيننا في جاهل أن الله صرح
التوحيد والأصول .

الحمد فالقوام
بغنى وعرفهم فيما يشعرون
فيل ذلك ثم ما بعد ذلك

فأقول وبالله التوفيق : أن الولاء والبراء من أمور العقيدة وأن من يظن
أو يشك أن الله سبحانه وتعالى يغفر للمشركين فهذا كفر بالله سبحانه وتعالى الحمد فمن شرها
ويعلم أن الجاهل يتخبر بها
المسلمين أو ممن سألهم

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) . يعقل منه ويفهم

عليه الحمد ما بالنسبة للعبادة
فالمستغفر للمشرك إنما يستغفر له لظنه أن الله قد يغفر له وهذا مصادرة كالشرك الكبري فلا
للآية الكريمة وأن هذا الاستغفار منه لهم إنما يتم عن محبة لهم وهو منهي عنه يعجز فيه بالجهل

الذاتية قائمة وشاهد بطلان عبادة كل مخلوق وعدم
صلاحية كل معبود سوى الله لا لوجهه قال تعالى فاقض

(١) روح المعاني (١١/ ٣٩) . وجهك للدين حنيفاً فطره الله التام فطره التامس عليها
(٢) الحد الفاصل بين الإيمان والكفر (ص ٧٢) . لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم البينات

كذلك بل هو من مقاصد هذه الشريعة السمحة . وبين ذلك قول الإمام القاسمي رحمه الله :

هذا من تنمة ما تقدم من تأكيد مباينة المشركين ، والبراءة منهم ، وترك الإستغفار لهم ، وذلك لأنهم حققت عليهم الكرامة حيث قاومت عليهم الحجة بإبلاغ الرسول إليهم ما يتقون ودلالته إياهم على الصراط السوي فضلوا عنه ، فأصلهم الله ، واستحقوا عقابه . ا . هـ (١) .

٤ - قول الله تعالى (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء : ١١٥] .

فهذه الآية الكريمة كمشياتها من آيات القرآن وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أئمة الهدى تقرر أن الله سبحانه وتعالى لا يؤخذ أحداً إلا بعد أن يتبين له الحق وتقام على الحجة ثم يشاقق الحق فحينئذ يكون مستحقاً للعقاب والعذاب .

يقول الإمام الشوكاني : - (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

المشاققة : المعادة والمخالفة وتبين الهدى : ظهوره ، بأن يعلم صحة الرسالة بالبراهين الدالة على ذلك ثم يفعل المشاققة . ا . هـ (٢))

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ

أعرض وفي الحديث ما تبين له الهدى)

والذي نفسره

لا يسمع في حديثه (١) محاسن التأويل (٨/٣٢٨٣) .
والنصر في يوم لا يؤمن (٢) فتح القدير (١/٥١٥) .
بما جئت به إلا كان من أهل النار

أى ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم
فصار في شق والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين
له واتضح له . ١ . ٥ (١)

ويقول العلامة الآلوسي :

(مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى)

أى ظهر له الحق فيما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم أو فيما يدعيه عليه
الصلاة والسلام بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته . ١ . ٥ (٢) .

ويقول الإمام النسفي : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ
الْهُدَى) :

ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشده . ١ . ٥ (٣)

٥ - قوله تعالى (وَكَوُنَا أَهْلَكُنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى قُلُوبَنَا كُلُّ مَتْرَبِصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَى) [سورة : طه : ١٣٤] .

في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى أنه قطعاً لمعذرة الكفار أن يقولوا رسولاً أرسلنا رسولاً من قبلك فنتبع آياتك من قبل أن نذلل ونخزي قلوبنا كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وَمَنْ اهْتَدَى) [سورة : طه : ١٣٤] .
البحر وحق على المعترضين والمقصرين والمنغاضين والمغضوبين .
(١) تفسير ابن كثير (١ / ٥٥٤) .
(٢) روح المعاني (٥ / ١٤٦) .
(٣) تفسير النسفي (١ / ٢٥١) .
العذاب الذي يقو على كفرهم أما ان كما نوا مسلم من عصاة
فهم تحت المشيئة من شاء الله أن يخفض لهم من فعلهم
شأنهم ان بعد تبيّن هديته ثم يدخل الجهد في فعله لا يسلكه الا فضل
وهم يستلوه

(لَوْ لَا أُرْسِلْتَ إِلَيْنَا) في الدنيا (رسولاً) مع كتاب (فنتبع آياتك)
التي جاءنا بها (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ) بالعذاب في الدنيا (ونخزي)
بمدخول النار اليوم .

ولكننا لم نهلكهم قبل إتيانها فانقطعت معذرتهم

فعند ذلك قالوا (بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء)
ا . هـ (١) .

ويقول الإمام القرطبي : قوله تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله)
أى من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن (لقالوا) أى يوم
القيامة (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) أى هلا أرسلت إلينا رسولا (فنتبع
آياتك من قبل أن نذل ونخزي) وقرئ (نذل ونخزي) على ما لم يسم فاعله .

وروى أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الهالك في الفترة ، والمعته ، والمولود :

هذا الموضوع كلها
في الأحاديث الواردة في هذا الموضوع كلها
ضعوا في التقوم بمعارضته الأحاديث الصحيحة

يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول - ثم تلا الحديث البخاري
(وَكَوْنَا أَهْلَكُنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أُرْسِلْتَ إِلَيْنَا
رَسُولًا) الآية .

عظيم فأتينا على رجل طوال الأقدام ...
ويقول المعته : رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرأ المذنب حولي أطفال الناس الذين
ويقول المولود : رب لم أدرك العمل فترفع لهم نار فيقول لهم ردوها فيلما رسول الله
أطفال المشركين قال وأطفال المشركين

(١) تفسير أبي السعود على هامش تفسير الفخر الرازي (٦٧ / ٧) .